الكاتب الإيطالي إيتالو كالفينو صاحب «مدن غير مرئية»:

كتابة تتكئ على الأبدية شكلا ومضمونا....

فيصل عبد الحسن *

■ عرف القارئ العربي ايتالو كالفينو من خلال روايته الكبيرة «مدن لا مرئية» الرواية التي أتاحت لكتاب الرواية في العالم مجالات خصبة لم تسبرها أقلامهم من قبل ومثلما فعلت رواية جيمس جويس «يوليسيس» من تغيير شامل لآليات كتابة العمل الروائي، حيث كانت رائدة في استخدام المونولوج الداخلي، ونقل المشاعر الداخلية للشخصيات الروائية، وجعلت القارئ يغور في داخل الشخصيات التي يتعامل معها، ولم يعد يقرأ عن شخصيات مرسومة من الخارج عبر شبكة من علاقاتها الانسانية، وبذلك مهد جويس للقارئ فرصة المشاركة الفعلية، الوجدانية، في المتن السردي للرواية، اضافة الى اللعب في الزمن الروائي كنتيجة طبيعية لاستخدام المونولوج، وبذلك فقد استطاع جويس أن يكتب رواية كبيرة من حيث الحجم والأهمية في زمن الرواية الذي لا يتعدى يوما واحدا، وحصر الزمن الروائي بهذه الفترة الزمنية القصيرة أتاح للروائي أن يقول كل شيء عن بطله، وأن يكون شاهدا على عصره، وأن تكون الشهادة ممتلئة تماما الى حد النبض الخافت لأخلاق وأفكار وممارسات وأحلام أهل مدينة دبلن، ومن هنا جاء كشف جويس لغيره عن طرائق الكتابة الروائية الحديثة، وقد أكمل كالفينو في الخمسينات والستينات من القرن العشرين التمهيد لعالم روائي يمتلك من الوسائل والطرق، التي تضاهي اكتشاف السينما والتلفزيون ومزج السمعي بالمرئي في كتابة مقروءة.

ايتالو كالفينو كاتب ايطالي معاصر، معروف، وقد استغرب الكثيرون من متابعيه عدم حصوله على جائزة نوبل وموته في الثمانينات من القرن الماضي وذهابها بعد ذلك بسنوات قليلة أي عام 1997 الى مواطنه داريوفو، الكاتب والممثل المسرحي، الذي قبل منحه جائزة نوبل كان مغمورا خارج بلده.

ولسنا في صدد اعادة الحق الى صاحبه، ونحن نعرف الأبعاد السياسية والفكرية، والحسابات التي يجريها أهل نوبل قبل منحها الى أديب ما في مختلف أصقاع العالم، لا في ايطاليا وحدها ولنا كعرب تجربة مريرة مع هذه الجائزة التي حطت مرة في ربوعنا والله وحده يعلم ما الأسباب الحقيقية لمنحها مع علمنا أن الكثيرين من نوابغ الأمة العربية يستحقون هذه الجائزة وخصوصا في عالم الشعر لا في عالم الرواية والقصة ونحن أمة شاعرة وليست أمة ناثرة وقد تحداها الله تعالى فيما سيكتبه شعراؤها من شعر لمحاكاة سورة من سوره القصيرة، ولست هنا من المقلبين في شؤون هذه الجائزة وأسرار منحها لهذا المبدع أو ذاك، وغاية كتابتي هنا لتوضيح لما لكالفينو من فضل على الأدب العالمي ودون غضاضة من أنه لم ينل النوبل تلك...

في «مدن لا مرئية» يرسم لنا الكاتب مدينة البندقية الأسطورية، التي تغيب في البحر كل سنة بضعة سنتيمترات ـ لا فرق بين هذا وذاك ما دامت المدينة التاريخية، بكل حملها الثقافي والأثري تغيب في لجج الأمواج المالحة، كل عام، وما أن ينتهي القرن القادم من عام ألفين إلا وتكون المدينة الساحرة بكل ذكرياتها وأحجارها وهندسة مبانيها قد ذهبت كأطلانتس المختفية (1) وما يبقى لنا منها سوى ما التقطته الكاميرات من صور وما أبدعه الفنانون من لوحات والتقاط لجزئيات من تلك المرئيات، وما دونه الكتاب عنها في كلمات مباشرة أو ما انعكس تضمينا في نصوصهم وقصائدهم وقطعهم النثرية.

أوراق ماركو بولو الرحالة

ما يهمنا في رواية «مدن لا مرئية» هو التقاط مدينة البندقية الموشكة على الغرق، فتلك المدينة تظهر في أوراق ماركو بولو الرحالة الايطالي المعروف، الذي هاجر من المدينة في القرن السادس عشر الميلادي وذهب الى الصين وبقي هناك لأكثر من عشرين عاما، حيث قابل امبراطور الصين قوبلاي خان، ودار الحوار بين الاثنين حول البحر وفلسفة الحياة وأساليب الحكم، وهنا جاءت الكثير من أحكام ميكافللي وطروحاته فيما بعد في كتابه المهم، «الأمير» فوجد قوبلاي خان ماركو بولو رجلا محنكا يمكن الاعتماد عليه في البحث عن فلسفة للحكم، فبعثه لادارة الحكم في ولاية بعيدة من ولايات امبراطورية الصين، المترامية الأطراف، وفي الطريق الى تلك الولاية البعيدة، كانت المدن تظهر لماركو بولو وأصحابه وتختفي، متتابعة في حلمية رائعة، أيا تكون تلك الشواهد المنحوتة من السراب والخيال، والأفكار التي كان بدوره يتلوها على صديقه في السجن الفينسي القديم ـ نسبة الى فينسيا «البندقية» ـ بعد عودته الى وطنه ووضعه في السجن من قبل حاكمها.

وجعل ايتالو كالفينو تلك المذكرات القديمة للرحالة العجيب مادة خصبة، لاكمال تصوير عالمه الروائي، ونقل شذا الشرق وسحره، وأساطيره، وايجاد تلك الغرائبية المبثوثة في حيوانات مؤنسنة: «تحريك الأشياء عن بعد، وعندما يجلس الامبراطور الصيني على كرسي الحكم فان الأقداح ترتفع في الهواء وتصير في متناول يديه، الرؤوس المقطوعة يعاد لصقها، الغرف المركبة تنفتح على بعضها في متاهات معقدة التشابك وتقودك الممرات الى أبواب ومسالك ودهاليز مظلمة، وترى السحرة وهم يغيرون في لحظة اشكالهم ووجوههم». عالم ضاج من السحر والتغريب رسمه ايتالو كالفينو في «مدن لا مرئية». يقول مترجم رواية «مدن لا مرئية» الشاعر ياسين طه حافظ في تقديمه لها: «مدن لا مرئية» الذي اخترت ترجمته، هو أول كتاب قرأته لايتالو كالفينو وأثار دهشتي، رواية، نعم رواية، هكذا يقول النقاد، تثير المشاكل نفسها التي اثارها الكاتب من قبل، ولكن بأسلوب مختلف وبايجاز جميل ومذاق فيه العمق الثقافي ونكهة الشرق البعيدة والمؤثرة ـ «مدن لا مرئية» ص 9، ويبقى الكاتب ـ ايتالو كالفينو ينشر الاختلاف في ما كتب لاحقا، ومن الأمور الثابتة في الابداع أن الحدود ملغاة، ويبقى الابداع قائما حتى اذا لم تستوعبه القوالب الأدبية الجاهزة المتعارف عليها الآن، ومهما اختلفت المسميات وتشابكت آراء النقاد حول «مدن لا مرئية» وحول كاتبها ايتالو كالفينو، يبقى المتن السردي هو الحقيقة الوحيدة المسلم بها، وربما يحل الكاتب ذاته الإشكال حول روايته، حين يقول في توطئته لها: «عندما أبدأ بكتابة شيء جديد أفعل ذلك وكأنني لم أكتب شيئا من قبل». انها محاولة من الكاتب للخلاص من القوالب الموضوعة سلفا، إنه يطمح في حقيقة الأمر الى كتابة المهم الذي يتكئ على الأبدية شكلا ومضمونا، وهذا في اعتقادي هو تحديث كالفينو في جسد الرواية العالمية، دون وضع العلامات والأطر الشكلية لتحدي شكل الجنس الابداعي، اضافة الى ما يهمنا كعرب فإنه الكاتب اليساري المميز الذي تفهم قضايا عالمنا العربي العادلة كقضية فلسطين وانحاز الى الحق والعدل من دون أن يتأثر بأجواء الكراهية التي عادة ما تسيطر على أبواق الدعاية في ايطاليا خاصة وأوروبا عامة.

قصص من نوع آخر

في كتاب «السيد بالومار»، كتاب ايتالو كالفينو الصادر عام 1985 وهو عبارة عن تقارير أدبية مفعمة بدقة الكلمات، وكتابات وصف ودفتر لبيوغرافيا انسان يستنطق الأشياء القريبة، التي في متناول اليد، يتأمل الغروب وينظر الى النجوم والحيوانات في حديقته، ثم يقول لنا جملته الأخيرة بعد أن مسه اليأس: «نحن لا نستطيع أن نتأمل ما تعودنا على رؤيته في داخلنا» (2).

في مجموعة إيتالو كالفينو القصصية ماركو فالدو(3) التي كتب قصصها الأولى في بداية الخمسينات صورت ايطاليا الفقيرة، أما القصص الأخيرة من المجموعة فقد كتبت في منتصف الستينات بعد أن انتعش الاقتصاد الايطالي، وظهرت معالم التغيير على حياة الناس هناك نتابع في المجموعة قصص كالفينو، انها قصص من نوع آخر، لا كما التعريف الذي اقترحه يتيس للقصة القصيرة (4)، إنها قصص من نوع آخر تتفق مع القصة القصيرة المتعارف عليها في أمور وتختلف عنها في أمور أخرى كثيرة، ويتمثلها المتلقي كقصائد نثر متميزة، مفعمة بقيم الانسان وحب الطبيعة وتحمل محاولات الانسان وتوقه الدائم للرجوع الى عوالم فطرته الأولى، وحياته القديمة الذائبة في رحاب التدفق والألفة، فماركو فالدو بطل كل قصص المجموعة، هو وجه آخر لدون كيشوت سرفانتس، وكما معروف ان سرفانتس أراد الرجوع لمفاهيم الفروسية النبيلة في العصور الاقطاعية، لإدانة رذائل عصره، دون أن يخطر له على بال أن تلك المفاهيم القديمة قد ذهبت الى الأبد، وهنا يتبادر الى ذهننا ما كتبه راي ب. وست عن بنية القصة القصيرة: «إن فنانا قد تصدى لانتاج قصة ما، فهو لا يصمم أفكاره لتتفق وحوادث قصة ما، بل إنه يتعمد أن يأخذ بعناية تامة لاستحداث أي أثر قوي، فذ، فهو يبتكر أحداثا، أو ينسق أحداثا، بأفضل شكل يساعده على تثبيت الأثر المتخيل مسبقا»(5) وهنا يعنينا أن نقول ان كاتبنا لا يعتني بطرائق الكتابة بقدر رغبته المسبقة في ايصال نبضات شخصية ـ ماركو فالدو ـ الى ذهن المتلقي، كصورة معادلة لدون كيشوت الإسباني، ودون أن يعنى بشروط الومضة في القصة القصيرة. ان العلاقة تبدو واضحة بين ماركو ـ ايتالو كالفينو ودون كيشوت سرفانتس ـ فقد رسمت الشخصيتان بالطريقة التهكمية، المضخمة. اللامنطقية. نفسها ـ وقد وضع سرفانتس نموذجه لادانة المجتمع الاقطاعي، وعمد الكاتب الايطالي لادانة المجتمع الصناعي في القرن العشرين، ومثلما فعل دون كيشوت حين حارب طواحين الهواء، فان ماركو فالدو حاول بامكانيته البدائية رفض المجتمع الصناعي بامكانياته البدائية أيضا لقد رفض المجتمع الصناعي بامكاناته الهائلة، وهيمنته الطاغية، وكانت المبارزة بين

الجانبين فرصة سانحة للمزيد من سخرية المتلقي وتهكمه، فماركو يقدس الطبيعة وحاول بما وصلت اليه يداه حمايتها من زحف المنطق الصناعي الجديد ومردودا ته المادية، وادانة قيمه التي لا تعطي لروح الانسان وحلمه اية أهمية، لقد حدثت مبارزة حقيقية بين كالفينو المبدع الايطالي للعصر الصناعي وسرفانتس مبدع فترة العصر الاقطاعي.

عالم كالفينو الجميل

في «الفطر في المدينة» نجد ماركو يتحين الفرصة لالتقاط الفطر النامي هنا وهناك: «ذات يوم، وعلى جانب الشريط الضيق من الأرض المحيطة بجادة المدينة، هبت عاصفة من البذور لا يعلم غير الله من أين أتت منبتة الفطر، ولم يلاحظها أحد سوى ماركو فالدو العامل الذي يستقل عربة الترام من ذلك المكان كل صباح ـ ص 13 ماركو فالدو ـ رسم كالفينو بالكلمات لوحة ساخرة لنزوع ماركو لاغتنام فرصة ما توفره الطبيعة، من خيرات في المجتمع الصناعي الجديد: «لقد وجدوا جميعا الكثير من الفطر ولأنهم لا يملكون سلالا فتحوا مظلاتهم وجمعوا الفطر فيها .. وفكروا أن يقيموا وليمة كبرى لهم جميعا».

على أي حال، لم يمر وقت طويل حتى عادوا ليروا بعضهم بعضا، ففي ذلك المساء تجمعوا في عنبر واحد من المستشفى بعد أن أجريت لهم جميعا عمليات غسل المعدة ـ ص16 ماركو فالدو ـ ان المفارقة المرة، ولعنة المجتمع الصناعي الجديد تقع حين يكون الفطر الذي أنبتته الطبيعة الملوثة بنتاج الصناعة مسمما، وهنا تقترب شخصية، ماركو فالدو من دون كيشوت وتتطابق الشخصيتان، ولكن باختلافات بسيطة يفرضها كل ظرف وناموس على نتاجه الثقافي وطبيعته التاريخية.

غصن مقطوع

وفي «اجازة على مقعد حديقة» يحاول ماركو فالدو أن يقضي ليلة على مصطبة في حديقة قريبة من بيته، ليخنق داخل نفسه الشعور انه ينام في الغرفة الضيقة، المزدحمة بأفراد عائلته، بين أطفاله وزوجته، ولكي يرى القمر دون أن تحجبه الجدران والبنايات العالية، لكنه يفاجأ بمنغصات الحديقة، الكثيرة، أضواء اشارات المرور في الشارع المضيئة والمنطفئة كل لحظة، وعاشقان يحتلان المصطبة التي كان قضاء ليلته عليها، وحين يغادرانها يؤرقه تمثال جنرال يمد سيفه الحجري في الهواء، ويأخذ ماركو في التقلب على المصطبة، والنعاس لا يأتيه، وعند ذلك يقطع غصنا مورقا من الشجرة القريبة ليغطي به السيف ليقطع سيل الضوء، فيقع سوء الفهم . ان حلم ماركو بقضاء ليلته وسط الطبيعة الخلابة ونور القمر ينير قمم الأشجار يتبدد ويتلاشى ويتحول ذلك الحلم الشفاف الى كابوس يجثم على صدره ويطرد النوم عن عينه، مما يضطره في النهاية الى التجوال في المدينة النائمة وقد عافت نفسه النوم، وهنا تنطبق عليه مقولة غوغول، القاص الروسي، التي وردت في قصة الأنف: "ان سخافات عديدة تحدث في الكون، وأحيانا أشياء لا تطابق الواقع بحال من الأحوال ولكنها واقعية مائة بالمائة». والواقع هنا، هي تلك الفطرة التي انتمت اليها الطبيعة دائما، وكل التطورات الحاصلة في بنيتها ما هي إلا تزييف وخيانة فجة لمخلوقاتها ومنها الانسان بدعوى التطور، وفي هذه القصة يتحول سيف دون كيشوت الى غصن مقطوع في يد ماركو يغطي به سيوف المدينة الحجرية ويحجب انتصاراتها الوهمية.

البطل المهزوم

في نص «الحمام البلدي» يحاول ماركو أن يصيد الحمام الذي يمر بالمدينة مهاجرا، ويساعده أولاده على ذلك، لكنه يكتشف في ما بعد أنه صاد الحمام الداجن، الذي يربيه الجيران فوق السطوح. «قالت السنيورا: تعال يا ماركو فالدو. لقد أخبرت ان في سطح البيت ان شخصا يصطاد حمام المدينة. هل تعرف شيئا عن الأمر؟» «ص27 ماركو فالدو» في هذا النص تختفي الطيور المهاجرة، ممتلكة حريتها في تغيير أماكن وجودها، وتتحول الى حمام داجن تضمه الأقفاص، وكل حمامة من حمامات الأقفاص تحمل رقمها الخاص، وعنوان الدار الذي تعود اليه، فليس هناك خيار أمام ماركو غير ارجاع الحمامات التي اصطادها الى صاحبتها هو اذن عصر الاختناق وسوء الفهم، والضحك المتواصل على رسم ايقاع بطل مهزوم، لم يفهم شيئا من تضاريس العصر الجديد، وما زال يعيش بعقلية أهل العصور الوسطى.

كالفينو المبدع الحي

كل قصص المجموعة، كان بطلها هو ماركو فالدو، كأنما يؤشر ايتالو كالفينو حقيقة غريبة مؤداها، أن العالم الصناعي الجديد قد قضى تماما على ما تبقى من أمثال ماركو فالدو، ولم يبق في الساحة سواه، والذي سيتلاشى بدوره عما قريب، وهي صرخة الكاتب وسخريته من عالم سيفتقد عما قريب أمثال ماركو وما يثيرونه من حقيقة وصدق وعفوية في مجتمعاتهم، وما يضفونه عليها من البراءة والحلم وشفافيتهما، في عالم سيطرت عليه الكوابيس والآلات والضجيج والظلم الاجتماعي. ان قصص ايتالو كالفينو وعالم رواياته المتشابك يقول لنا أشياء عما تفعله الصناعة والعصر التكنولوجي بالانسان والمجتمعات بشعرية أخاذة يسمو فيها الحلم والترقب والرفض، ولن تكون مفاجأة للأوساط الثقافية في العالم أن لا يحصل ايتالو كالفينو على جائزة نوبل خلال حياته فقد أخطأته عجلة نوبل ربما عن قصد كجزء من الحرب الباردة قبل تحلل المعسكر الاشتراكي، لمن هو أقل عطاء وتأثيرا.

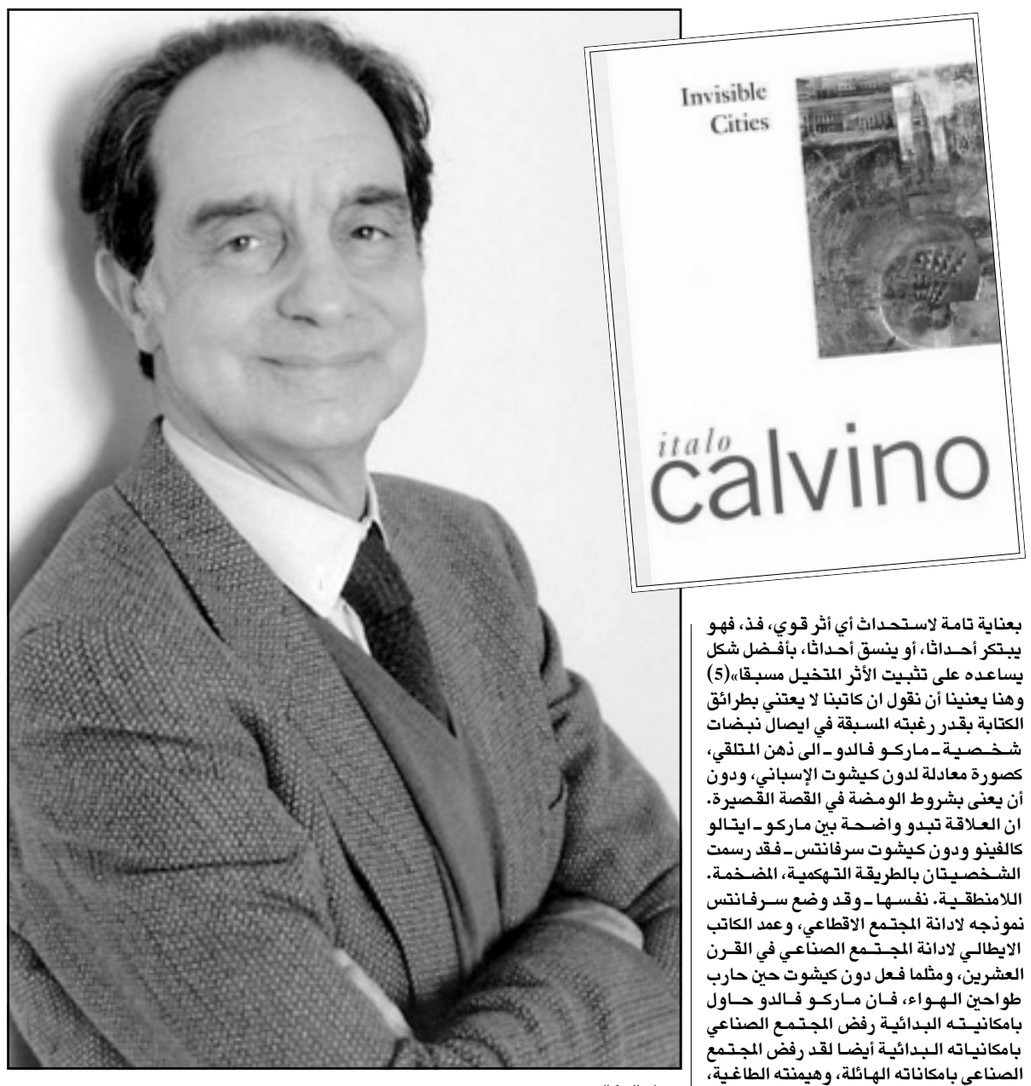

ايتالو كالفينو

* كاتب عراقي يقيم بالمغرب

هوامش

1 ـ لا بد من الاشارة الى مقالة قيمة ترجمها منير ثروت، في مجلة «المنار» بعنوان «أطلانطس الجديدة» كاتبها ارنست بلوخ.

2 ـ السيد بالومار ـ ترجمة ياسين طه حافظ ـ دار الشؤون الثقافية عام 1990 بغداد.

3 ـ ماركو فالدو ـ مجموعة قصص ـ ترجمة منية سمارة ـ دمشق عام 1989

4 ـ التحريف الذي اقترحه أي. هـ. يتيس: «القصة القصيرة هي قصة قصيرة». واحد من تعريفات عشرين مقالة لأساتذة القصة القصيرة كتبها جارلس مي في كتابه «نظريات القصة القصيرة» ترجمة محمد نجيب لفتة ـ دار الشؤون الثقافية العامة ـ؟ بغداد ـ 1991.

5 ـ راي.ب. وست «القصة القصيرة في أمريكا» ترجمة سميرة عزام ـ دار صادر ـ دار بيروت 1961.

تداعيات

مؤتمر قمة جديد على الأبواب.. يا للهول!

د. عبد العزيز المقالح

■ من المعلوم والثابت ان الدين عند الله النصيحة، غير ان أغلبية المتمسكين بدينهم يتجنبون او بالاصح يخشون من ان يجهروا بهذا الواجب الديني او حتى يهمسوا به. يحدث ذلك بعد ان اصبحنا نعيش في زمن الديمقراطية المستوردة مع الوجبات السريعة، وصرنا ـ والحمد لله ـ ندخل الديمقراطية من أوسع الابواب، ومع ذلك فالنصيحة التي هي من روح الدين لا تزال من الممنوعات لما قد تؤدي اليه من تغيير المواقف والتطابق مع رأي الغالبية من ابناء الأمة التي نجح بعض حكامها من اعداء النصيحة في ان يجعلوا منها ـ أي من الأمة ـ اداة مريضة عجفاء لا حول لها ولا قوة في كل ما يحدث لها ولابنائها الذين يرفضون الابتزاز ويدافعون عن كرامة اقطارهم وسيادة هذه الاقطار.

واللافت ان بعض الحكام يملكون الحقيقة، بل كل الحقائق، ولهذا فهم في غنى عن النصيحة وان كانت من روح دينهم، ولو كانوا يتقبلونها لقلت لهم بكل اخلاص وبالتعبير العامي «بلاش مؤتمرات» ففي مقدورهم ان يتلاقوا يوميا وعلى مدار الساعة عبر الهواتف المرئية وغير المرئية، وان يتخذوا من القرارات المصيرية ما يشاؤون. واذا كان المؤتمر القادم من اجل الصورة الجماعية، فعندهم الكثير من الصور السابقة التي التقطتها عدسات المصورين في اكثر من مناسبة ومؤتمر قمة، وفي امكانهم اعادة نشرها متى ارادوا.

ويلاحظ الآن، ان هناك من يقول ان امتنا على حافة السقوط او على مشارف السقوط، وكأنهم لم يعلموا بأن الأمة باتت في حالة سقوط تام ولم تعد وهي في الحضيض قادرة على ان ترى القمة فضلا عن الصعود اليها.

لقد اصبح من المؤكد ان يجتمع الحكام العرب خلال الايام القادمة في الخرطوم لكي تلتقط عدسات التصوير احدث صورة لهم بالالوان الطبيعية. وسيتم هذا الاجتماع وفلسطين المحتلة تعاني ما تعاني، والعراق المحتل يسير من نفق مظلم الى نفق اشد ظلاما، وابناؤه على ابواب حرب اهلية ان لم تكن قد تخطت الابواب، بعد ان بدأ الأخ يأكل أخاه بشراسة ووفقا لشريعة الغاب لا لشريعة محمد بن عبد الله (ص) الذي لم يكن شيعيا ولا سنيا. وسوف يجتمع الحكام العرب على ارض السودان التي باتت مرشحة للتقسيم الى ثلاث دويلات على الأقل. وما اكثر الهم الذي يثير في القلب وضع سورية ولبنان. فما الذي يفكر فيه قادة الامة وما هم فاعلون؟ سؤال صغير والجواب الكبير عليه: لا شيء. لان قراراتهم وتوصياتهم سياحية ولا علاقة لها بما يحدث وان كانت عناوينها الصارخة تشير الى غير ذلك من باب ذر الرماد في العيون.

ان لب المشكلة ـ لو يعلمون ـ يتمثل في الاحتلال، في هذا العدو اللدود الذي خرج من الابواب وعاد الينا من الشبابيك، والذي خرج بنضال مرير عمدته دماء الشهداء، وعاد بدعوة من اصحاب «الحل والعقد» ليساعدهم كما ساعد من قبلهم احتلال اجنبي سابق ملوك الطوائف وكانت نتيجة تلك المساعدة ان خرجوا جميعاً من جنات ذات انهار وعيون. ولهذا ان لم ينعتق الحكام العرب من فكرة الاستعانة بالعدو، ولم يدركوا انه هو الخطر الاول والأخير فان زمن الشجب والندب ولطم الخدود الذي لم يحفر في الذاكرة سوى السخرية والشعور بالاذلال وبالمزيد من التباين في المواقف والآراء سوف يستمر ويطول. فهل وصلت النصيحة او بمعنى آخر هل استطاعت ان تتسرب على مهل وتطرق القلوب قبل الآذان؟ اتمنى ذلك واتمنى ايضا ان يحقق القادة قدرا من الانتصار ولو عن طريق التحايل على خلافاتهم وعجزهم للوصول الى موقف واحد وشريف.

قبل أيام اتصل بي ـ هاتفيا ـ صديق عزيز كان في عام 1967 يتولى منصبا مهما، وكنت واياه اعضاء ضمن وفد بلادنا الى مؤتمر قمة الخرطوم الشهير بقمة الـ(لاءات) الثلاث، اتصل بي ليذكرني بتلك الايام التي لم تكن تخلو من امجاد ومواقف نبيلة لم تشربها مياه الذاكرة. وتساءل الصديق: هل يمكن للتاريخ ان يعيد نفسه وتفاجئ الخرطوم العالم بـ(لاءات) جديدة تعيد لـ(لاءات) القديمة بريقها وفعالياتها؟ لم أقل شيئا وتركت الاجابة للايام القليلة القادمة.

تأملات شعرية:

لا ألوم الكلام الذي يتناثر
فوق الموائد
او يتحطم فوق مرايا الظنون.
بيد أني الوم الرجال الذين
يقولون، ثم يقولون
لكنهم ـ قط ـ لا يفعلون!
لا ألوم الدخان الذي يتصاعد
من مطبخ فارغ
وألوم الرجال الذين يظلون
في عجزهم يطبخون!!

صباحكِ له جناحان وقلبي سماء

فواز قادري*

صباحك خير
وأوقاتكَ كلها
مما يفتتحَ السماء على ضحكة
لا تنتهي
فما الذيَ أفعل ؟
بهذا القلب المسائي الحزين
أوقاتك
مما يلتبَس من البرق على عتمتي
فكيف أفسر
ما تلاغز من الحنين على روحي
كما ترغبين

***

سأصلي من عطشي
أدق صنوج سمائك
علّه يفلت من قبضتهَا المطر
ليصلي على ترابك الحنون
جسدي و يغتسل
لريثما يهيم فراشك بي
ولريثما تجمعني ريح هنا
بعد ان نثرتني هناك
فلملمي ما يتساقط من هديلي
ومن عويلي
ومن أخريات الغناء
كأن السماء بك تلتظي
وكأني على عطشي الأزلي أقيم
أختار
شمسك الربيعية
وأفرد جناحي لأطير
لا جاذبية تعاندني
ولا قلبي
فهيئي أمداءك لطيوري الغريبة
صباح يتلو صبَاحاً
على باب قلبكِ انتظر
فيئا يتلاشَى
حينما تفتحيه
لي مداراتي ونجومي
وتخوم بكواكب متعبة
فلا تطيلي الوقوف
على اطلال احد
غابات ستتسع لغزلانكِ
فأطلقيها
ولوردك حدائق
وبعطركَ
سيتربصَ هواء ولهان.

***

صباح يتلو صباحاً

فكيف أتلو مباهجي عليك؟
لاكتشف ابتسامة شامة
في اعلى الفم
ولكي لا احار
أدنو من شفتيك
وحارسهما الليلَكي
أغراني بما يفيض من لعاب؟
صباح يتلو صباحاً
وأنا أفرد يدي لهذا الشعاع
الهابط من النهدين
أستعين بفمي
لأخفف من الخسارات الجسيمة
وألتفت إلى الغابة القريبة من النبع
ولا أطلب السماح بالوضوء
اصلي ركعتين
ألفاً
كل ما علي
من فرائض عشقك
ثم لا أستغفر الله.

* شاعر من سورية يقيم في المانيا

«رماد وامجاد»: تساؤل عن الهوية العربية الضائعة في زمن اندلسي جميل

الرباط ـ من زكية عبدالنبي:

ينتفض عبدالله الصغير اخر ملوك الطوائف من رماده ليسرد حكاية سقوط غرناطة وخروج العرب من الاندلس برؤية فنية مغايرة للسرد التاريخي وظفت الفضاء المسرحي لتجسد عمل الفنان المسرحي المغربي عبد الحق الزروالي «رماد وامجاد». واقام رائد المسرح الفردي في المغرب عبدالحق الزروالي مساء الاثنين الماضي باول عرض لمسرحيته «رماد وامجاد» التي اراد من خلالها كما يقول «اعادة قراءة هذه الفترة المشحونة بالاحداث والانجازات وبصراعات الهوية والسلطة والدين والمصالح».

والزروالي هو في نفس الوقت الممثل ومؤلف ومخرج العمل. ولم يشأ الفنان ان يحول المسرحية كلها الى بكاء على «الامجاد» وانما حاول قراءة النص التاريخي من زوايا متعددة ومتشعبة «لمعرفة مانحن فيه.. او ما قد نؤول اليه».

وهكذا يرفع الستار عن ديكور ابيض بلون الموت يجسد اطلال قصر.. في حين يرتكن ابو عبدالله في احدى الزوايا وقد لبس اسمالا بالية من نفس اللون في هيئة متسول قبل ان يرجع بطريقة «الفلاش باك» الى التاريخ ويخلع الاسمال ليكشف عن لباس سلطان.. يجلس على عرش او بقاياه وهو يقول «هذا ما تبقى مما تآكل بفعل الحشرات و الرطوبة.. صدق من قال التاريخ ولد الحرام مجرد لعبة واكذوبة.».

ويصاحب ديكور الاطلال البيضاء الجامدة نص المسرحية الى الاخر في حين يسرد الفنان فترة هامة من تاريخ العرب في الاندلس موظفا حكما واشعارا واغاني اندلسية من التراث المغربي بالاضافة الى الايقاعات الاسبانية. ويقول الزروالي «هناك شعوب عالمية عاشت البؤس والاندحار.. وتعيش اليوم في رفاهية وازدهار. ونحن الشعوب العربية بحسب ما قالوا عشنا التقدم والحضارة واليوم نعيش التخلف والفقر .. هذه هي المفارقة التي لا افهمها».

ويضيف «اما ان يقولوا لنا كذبنا عليكم في التاريخ ولم يكن العرب يوما متقدمين وارضى بواقعي.. واما ان يعطوني تفسيرا عن واقعنا الان.. من المسؤول عنه.».

ويقول الزروالي وهو من مواليد مدينة فاس المغربية انه شعر بالصدمة لما ذهب الى دمشق في سوريا ذات يوم ليعيش هذا التداخل في الفضاءات..فاس ودمشق.. قبل ان يرتبك عند زيارة غرناطة ليكتشف اوجه متعددة لفضاء واحد. ويقول «جاءتني فكرة عمل مسرحي عن الاندلس لما زرت غرناطة مباشرة بعد زيارة دمشق واصبحت مرعوبا من هذا التشابه والتداخل..وانا الذي عشت في فاس».

ولعل رواية الكاتب الاسباني انطونيو كالا «المخطوط القرمزي» اعطت للزروالي الفرصة الذهبية لتجسيد عمل يعبر عن انتمائه ورؤيته الفنية لما حدث في الاندلس حيث اخرجها للمسرح. وقام المغربي يوسف العرقوبي بعمل السينوغرافيا. واستمد الكاتب الاسباني رواية «المخطوط القرمزي» من مذكرات ابو عبدالله الصغير اخر ملوك الطوائف التي يقول فيها «كان يجدر بي ان اكون عالما مناضلا.. لكنهم اجبروني على السلطان.. عرضت فكرة الحكم على اخي يوسف لكنه فضل البقاء محاطا بحسناواته في غرناطة».

ويقول الزروالي «اومن بان المسرح والفن عموما كعمل النحلة التي تدور كلومترات وتزور الاف الزهور لتصنع قطرة عسل واحدة../لان/المسرح تلاقح بين الفنون».

وسبق للزروالي ان اقتبس مسرحية «كدت اراه» من رواية «مواقف ومخاطبات» لابي عبدالله النفري ومسرحية «ابن سينا» من رواية «الطريق الى اصفهان» لجلبرت سينيويه. وللزروالي اكثر من 30 عملا مسرحيا كتابة واخراجا وتشخيصا قدمها في اكثر من 100 عرض في عدد من الدول العربية والاوربية. (رويترز)